֎ احذر الحسرات ֎

(2)

إن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

استكمالًا لما سبق أن بدأ في الحلقة الماضية من الحديث عن الحذر من الحسرات.

11- الحسرة التالية: الحسرة على ترك سورة البقرة

عَنْ زَيْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَّامٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ، أخرجه مسلم(804).

- الزهراوين: سميتا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما،
- كأنهما غمامتان أو إنهما غيايتان: قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه سحابة وغيرة وغيرهما، قال العلماء المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين :كأنهما فرقان من طير صواف، وفي الرواية الأخرى كأنهما حزقان من طير صواف الفرقان والحزقان معناهما واحد وهما قطيعان وجماعتان يقال في الواحد فرق وحزق وحزيقة وقوله من طير صواف جمع صافة وهي من الطيور ما يبسط أجنحتها في الهواء.
- تحاجان عن أصحابهما: أي تدافعان الجحيم والزبانية وهو كناية عن المبالغة في الشفاعة،
- ولا يستطيعها: أي لا يقدر على تحصيلها.

◎ فمَن يترك سورة البقرة هو في حسرات لماذا؟

- **أولًا :** لأن سورة البقرة هي إحدى سور القرآن وأي حرف يُقرأ من القرآن يُقابله عشر حسنات وترك ذلك خسارة للأجر.
- **ثانيا :** الحسرة الأساسية بالنسبة لسورة البقرة تتمثل في أن حفظ سورتي البقرة وآل عمران يجعلهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان.

أي : كأنهما اثنان من المدافعين يتوليان أمر الدفاع عن صاحبهما حتى يُدخلانه الجنة ويُبْعدانه عن النار، وتلك من أعظم النعم(حفظ السورتين حفظ جيد) حتى يفوز بهذه النعمة العظيمة، فالحسرة تأتي من ترك الأخذ بهذه السورة وحفظها حفظًا عن ظهر قلب.

ثالثًا: من بركة سورة البقرة أن البيت الذي تُقرأ فيه لا يقربه الشيطان:
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» المستدرك على الصحيحين للحاكم(2060).

فالحياة تكون غير مستقرة ومليئة بالمشاكل إذا ما تواجدت الشياطين في البيت، والشياطين توجد نتيجة ارتكاب المعاصي وبمجرد أن تُقرأ سورة البقرة في البيت فإن الشيطان يفر منه.

فماذا نفعل كي نطردهم ؟ قراءة سورة البقرة في البيت.

ـ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ: فالسحرة لا يستطيعون توجيه سحرهم لقارئ أو حافظ سورة البقرة وأذيته بسحرهم.
فالقارئ لسورة البقرة قراءة جيدة لا يستطيع أحد أن يُسلط عليه السحر، _ وتحصين النفس بقراءة سورة البقرة يجعل بين قارئها وبين السحر حجاب فلا يستطيع أحد أن يؤذيه بالسحر.

تلك هي الحسرة التي يلقاها تارك سورة البقرة، فمن الخسارة أن يضيع من الإنسان كل هذا الثواب ففي الدنيا (يحفظ بيته من الشيطان _ يحفظ نفسه من السحر) وفي الآخرة لن يجد مَن يُدافع عنه فلقد كان المدافع عنه هما البقرة وآل عمران حتى يُدخلانه الجنة.

12- الحسرة التالية: حسرة إتباع المُقلدين لكل ناعق.

قال سبحانه وتعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)}[البقرة].

ففي الدنيا شخص تابع وآخر متبوع، شخص يُعطي الأوامر وآخر يعمل بها، شخص قوي فاسد فاسق عاصي وهناك آخر ضعيف مُتبع لهذا الفاسق العاصي وسواء كان هذا الشخص (شيخ من المشايخ الذين يلهثون لنيل الكراسي والمناصب والدنيا _داعي من الدُعاة_مرؤوس مع رئيسه).

المهم أن هناك تابع ومتبوع وهذا المتبوع له مكانة والتابع يتبعه، يوم القيامة يتبرأ كل منهما من الآخر، يتبرأ المتبعون من التابعين.

فيقول التابع للمتبوع: أنت مَن قال لي كذا وكذا، أو أنت مَن أفتاني أو أمرني بكذا وكذا، فيأتي الرد من المتبوع : أنا لا أعرفك (فيتبرأ المتبعون من التابعين)، والكل سيقول نفسي نفسي وستتقطع بينهم الأسباب، فكل الصِّلات سوف تتقطع (قرابة وغيرها_معلم وتلميذه_الشيخ والتابع له) كل صلة كانت تجمع بين اثنين تنقطع فيتبرأ كل منهما من الآخر وتضمحل كل الأعمال ولا يبقى لهم إلا الأعمال الصحيحة المقبولة، أما الأعمال التي اتبعوا فيها غيرهم من الضُلال أو الفسدة أو الفاسقين أو العاصين أو المبتدعين فإنها تسقط ويتبين مدى كذب هؤلاء لماذا ؟

- كل واحد منَّا يوجد بداخله مؤشر(شيء) يبين له كيف يفصل بين الحق والباطل، فأحياناً يكون على علم بالحق ولكنه يضحك على نفسه ويتبع هواها، فيذهب هنا وهناك حتى يجد مَن يُفتيه بما يُناسب هواه، فيُصرّح له بما يجعله يرتكب هذا المحظور، هذا الشخص يعلم الحق فبداخله شك لأنه من المؤكد أنه سمع الحق قبل ذلك ولكنه لا يريد أن يتبعه فماذا يفعل؟ يذهب يمينًا وشمالًا إلى أن يجد مَن يُفتيه بما يريد وليس بما أمر الشرع وبهذا يكون قد أعطاه دواء مُسكِن فيُسكِّن له ألم البحث عن مخرج لما هو واقعٌ فيه من مُخالفات، هؤلاء يعلمون أنهم على ضلال وعلى خطأ فأصحاب الهوى يعلمون أنهم أصحاب هوى ولكنهم يُجادلون ويوم القيامة يتبرأ منهم مَن سبق لهم أن قاموا بإتباعهم في الدنيا وانتهى أي وصال بينهم ولم يبق لهم إلا الحسرات ولم يجنوا إلا الندامة وليس لهم حُجة أمام الله عز وجل:

قال تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (32) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (33)}[سبأ]

فمن هو الظالم؟ الظالم لنفسه بالمعاصي ويشمل ذلك الظلم بنوعيه (الظلم الأكبر:الكفر، الظلم الصغر: ما دون الكفر بارتكاب الكبائر إلى جانب ما دون الكبائر أي الصغائر) فكل هؤلاء ظالمون.

- {يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ}: فهذا يُلقي باللوم على هذا وهذا يلقي باللوم على هذا، أنت مَن ظلمني فقد كنت مُتبعًا لك.

فما هي القصة؟
في الدنيا نجد أن الجاه له رونق والسلطان له لذة، فإذا كان هناك شخص امتاز عن غيره بجاه أو سلطان أو منزلة فإن مَن هو أضعف منه (الضعفاء_الفقراء_البسطاء) يقوم باتباع صاحب الجاه.

مثال: يخرج أحد رجال الأعمال على الناس بملابسه الفاخرة وسيارته الفارهة، هذا المشهد يُؤثر في قلوب ضعفاء النفوس ولابد (مِمَن تعلقت قلوبهم بالدنيا)، فمنظر الجاه يؤثر فيهم فيقوم الضعيف باتباع صاحب الجاه أو السلطان هذا فيما يفعل أو يأمر، فصاحب المصنع ينظر إليه عمال المصنع ويُقلدونه، امرأة مشهورة أو لها مكانة معينة (مذيعة_ممثلة_عارضة أزياء) فتُسارع الفتيات لتقليدها فيما يخص ملابسها أو طريقة كلامها، ضعاف النفوس يُقلدون مَن هم أعلى منهم في الدنيا(أصحاب المكانة_الوجاهة_الرياسة).

ويوم القيامة يحدث التبرؤ من هؤلاء المُتَبعون وكذا الحسرات ويبدأ كل منهما في إلقاء اللوم على الآخر.
- يقول التابع للمتبوع: لولا أنت وحبي وإتباعي لك لكنت من المؤمنين
- ثم يأتي رد المتبوع للتابع: أنا لم أقُل لك اتبعني ولكنك كنت عاصي مجرم ضال، وقد كان أمامك المؤمنين والصالحين فلماذا اتبعتني ولم تتبعهم.
(هذا مثال لما يمكن أن يُقال بين المتكبر والتابع له يوم القيامة حيث يجد الإنسان مصيره أمامه).

- {وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ}: أي: أظهروها يقال: أسررت الشيء: أخفيته، وأظهرته, وهو من الأضداد.
فقد كان العرب إذا أرادوا قول شيء عبروا عنه بقول الضد منه.

- فقيل أسروا: أظهروا، أو أخفوا: والحالتين تؤكدان أن هناك ندامة شديدة وحسرة في هذا الموقف العظيم.

الشاهد: أن حب الرياسة أو السلطان أو الدنيا بوجه عام يؤدي إلى هذه النهاية، فكل مَن تعلق قلبه بالدنيا وأحبها وأحب ما فيها سيظل دائمًا ينظر إلى مَن هو أعلى

منه وأحسن، ويتطلع إلى ما في يد غيره ويريد أن يصل إليه وفي نهاية الأمر ستكون هذه الحسرات.
والغافل عن هذه المشاهد يوم القيامة سيتحسر وسيندم يومها بشدة فتتوالى عليه الحسرات واحدة بعد أخرى منها:

أ- الحسرة عند تطاير الصحف.
فمن المعلوم أن الصحف يوم القيامة سوف تتطاير وأن كل إنسان سيمد يده ليأخذ صحيفته، فمنهم مَن يأخذها بيمينه ومنهم مَن يأخذها بشماله.
قال تعالى: { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34)}[الحاقة]
فيوم القيامة يقول الإنسان هذه الكلمات ندمًا منه وتحسُرًا، فإذا كان من الذين أخذوا كتابهم بشمالهم فإن في ذلك تمييزًا لأهل الباطل عن أهل الحق، فيلحق الخزي والعار بمَن يتناول كتابه بشماله لأن الواقفون في هذا الموقف يعرفون أن الذي يأخذ كتابه بشماله هو من أهل النار والذي أخذ كتابه باليمين هو من أهل الجنة، فرغم أن كل واحد لم يقرأ صحيفته بعد إلا أن الكل يعلم أن الذي يأخذ الكتاب بشماله مآله إلى النار وهنا تكون الحسرة والندامة والفضيحة والخزي والعار على رؤوس الخلائق.

- {يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ} : **يقول قتادة :** تمنّى الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه.
ففي هذا اليوم سيتمنى العاصي الموت وقد كان أكره شيء إليه في الدنيا،
_وبعد أن كان هذا(الموت) هو أكره شيء إليه أصبح في هذا الموقف الذي أخذ فيه كتابه بشماله وعرف أنه سيكون مع أهل الخزي والعار وقد قُضي الأمر ولن يدخل الجنة فسينطق بهذا الكلمات من باب الحسرة على ما صدر منه.

- {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} : أي لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه.
لقد ذهب كل شيء، فالمال الذي جمعه من الحرام والحلال لم ينفعه وكذا الجاه، والدنيا التي سعى فيها جاهدًا من أجل أن يصل إلى هذه المنزلة ومن أجل الحصول على هذه الأموال، وبدلًا من أن يُفني شبابه في الأعمال الصالحة والاستعداد ليوم طويل من الحساب الذي سيواجهه (ولابد) أضاع أيام عمره وشبابه في جمع دنيا، هذا الصنف سيندم يوم القيامة ندمًا شديدًا لماذا؟

لأنه لم ينتفع بالمال ولا بالسلطان وتلك حسرة ما بعدها حسرة وتقطُّع للقلوب في هذه اللحظة، ولو استشعر الإنسان العاقل ذلك الأمر ثم اجتمعت عنده لذات الدنيا كلها بين

يديه لرفضها وأبعدها عنه ولم يُقبل عليها نتيجة علمه واستشعاره لمدى المرارة والحسرة والندامة التي تنتظره إن لم يكن من أهل الخير والصلاح.

- ومنها:

ب- الحسرة عند عرض الأعمال.

_قال سبحانه وتعالى: { وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)}[الكهف].

لم يظلم ربنا سبحانه أحد أبدًا، فإذا ما وضع الكتاب وعُرضت الكتب فإن المجرمين يعلمون ويخافون فماذا يعلمون ومن أي شيء يخافون؟ ولما هم مشفقون مما سيجدونه في الكتاب ؟

هذا الشخص يعلم جيدًا أنه كان يُخالف أمر الله في الدنيا (كذاب_ منافق_عمله ليس خالصًا لله _يأكل أموال الناس بالباطل_يغتاب _إلى غير ذلك من الذنوب).

والدليل على معرفته هذه أنه عند عرض الكتاب سيكون هناك إشفاقًا، ولقد اعتراه الإشفاق لأنه يعلم أن الكتاب امتلأ بالسيئات والمعاصي والذنوب.

- فالمشهد سيكون كالتالي: الخلائق كلهم مجموعون في صعيدٍ واحد والصحف بين يدي الله سبحانه، وسيكون المجرم خائفًا لما سبق أن كتب في الصحيفة، خائفًا من أعماله السوداء التي ملأت صحيفته وفي نفس الوقت خائفًا من أن تُعرض هذه الأعمال على الخلق جميعًا فتكون فضيحة على رؤوس الخلائق، ولهذا فإن الحسرة لن تكون على أنه وجد نفسه من الخاسرين الساقطين ومصيره سيكون مع المجرمين فقط ولكن الحسرة أيضًا ستكون على الفضيحة التي سيلقاها نتيجة أن الذنوب والمعاصي التي كان يعملها في الدنيا في الخفاء ولا يعلم بها أحد ستُعرض على كل الخلائق وما كان مستورًا في الدنيا من أعمال سيفضح أمره في الآخرة.

فيا تُرى كيف ستكون الحسرة أو الخوف أو الموقف من أوله إلى آخره كيف سيكون شكله ؟

ولقد كان الإنسان في الدنيا إذا فعل ذنبًا يكون حريصًا أشد الحرص على أن لا يعرفه أحد ويُدافع عن نفسه بكل ما أوتي من قوة إذا ما واجهه أحد بأنه علم عنه أنه فعل كذا وكذا وقد يكون ما فعله شيء بسيط إلا أنه لا يريد أن يراه الناس أو أن يعرفون عنه أنه يعمل هذا، فالنفس تأبى أن تُفتضح بين الناس بأعمالها الفاسدة وإن كانت تتجرأ على فعلها وهي تعلم أن الله يراها.

كل أعمال العبد تُعرض في هذا الموقف من وقت بلوغه إلى اللحظة التي يلقى فيها ربه، كل هذه الأعمال التي أخطأ الإنسان فيها وأغضبت الله عز وجل إن لم يتب الإنسان ويستغفر ربه عليها ويغفرها الله سبحانه ويعفو عنه فإنها ستُعرض على الخلائق يوم القيامة.

كان الفضيل بن عياض يقول حين يقرأ هذه الآية : يا ويلتاه ، ضُجّوا إلى الله تعالى من الصغائر قبل الكبائر.
- ضجوا: والضجيج هو الصياح بسبب المشقة والخوف والجزع.
يقول :من الصغائر قبل الكبائر .
والمعنى أنهم عندما رأوا صحيفة الأعمال حصل لهم نوع من الرعب من الأشياء الصغيرة والتي لم يعُدوها في الدنيا ذنوبًا (الاستهانة بالذنوب) ويوم القيامة سيكون في حسرة وويل وخوف شديد لأنه سيُحاسب حتى على الأشياء الصغيرة التي كان مُستهينًا بها في الدنيا.

قال قتادة: اشتكى القوم الإحصاء وما اشتكى أحد ظلما ، فإياكم ومحقرات الذنوب فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه، ومعنى أحصاها عدها وأحاط بها
_قال : اشتكى قوم الإحصاء والمعنى: أنهم في حالة من الرعب لأن الله سبحانه وتعالى قد أحصى عليهم كل شيء حتى أدق الأمور فما من صغيرة ولا كبيرة إلا وهي موجودة، لقد اشتكوا من كتابة كل شيء ولكنهم لم يقولوا أن هناك ظلم لأن الله لا يظلم أحد، فالمشكلة والخزي والعار هي في إظهار الصغائر والكبائر على رؤوس الخلائق والإنسان يقف في هذا اليوم وحيدًا فلا أحساب ولا أنساب ولا سند، والكل تبرأ من الكل حيث تقطعت الأسباب بين الجميع، وحتى أحب الأشخاص إلى الإنسان يتبرأ منهم ويفر.

قال تعالى: { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37)}[عبس].

الجميع يهربون يفرون خائفين ولا يبقى بينهم وبين ربهم إلا الصحف الذي ملأها ما قدمت أيديهم (المسألة صعبة جدًا).

ومنها :
ج- الحسرة عند الميزان.
قال سبحانه وتعالى: { وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (9)}[الأعراف].

- {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ} : فالوزن سيكون بحق فلا يستطيع أحد أن ينفي شيء فعله أو ينسب لنفسه فعل لم يفعله.

- {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} : فبماذا تثقُل الموازين ؟ بالأعمال الصالحة والخير الذي قدمته يداه.

- {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ} : خسر نفسه وخَفَّ ميزانه لأنه خلا من الأعمال الصالحة التي تُثقِل الميزان، فالسيئات غلبت على الحسنات، بالفعل قد كان في الدنيا يعمل حسنات، (وهذه هي المشكلة التي يغفل عنها الكثير) فلا يعتقد أحد أن مَن يدخل النار أو أن أهل النار(من المسلمين) ليس لديهم حسنات بل عندهم حسنات ولكن خف ميزانه لماذا؟ لأن الحسنات قليلة في مقابل ما فعله من سيئات وذنوب ومعاصي، ولهذا فإن يوم القيامة سيكون ملئ بالمواضع التي يشتد فيها كرب الإنسان ويعظم وقعها عليه منها لحظة معرفته لأعماله وميزانها فالحسنات ستوضع في كفة والسيئات ستوضع في كفة وهو واقف منتظر ليرى أيهما ستثقُل، وهو في حالة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى وتلك لحظة عدل ما بعده عدل فيتبين أن كل مثاقيل الذر من الأعمال سوف يُوزن.

- {فمن ثقلت موازينه} : أي رجحت حسناته عن سيئاته فأولئك هم المفلحون فلماذا يكون هؤلاء هم المفلحون؟

- لثلاثة أسباب :

1- أفلحوا لأنهم نجوا من النار وعذابها وسعيرها وأغلالها وما فيها من أهوال.
2- افلحوا لأنهم فازوا بالجنة ويا لها من غاية تستحق التشمير والإقبال على العمل.
3- أفلحوا لأنهم نالوا الثناء الحسن والجميل من رب العالمين والملائكة عندما يُنادونهم ليدخلوا الجنة جزاء ما كانوا يعملون.

قال الله سبحانه: { الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)}[النحل].

أما الذي رجحت سيئاته على حسناته وأحاطت به خطيئته فأولئك الذين خسروا أنفسهم (فخسر نفسه_أهله_آخرته_وكل شيء)، تلك خسارة ما بعدها خسارة لأنها خسارة شديدة ولا يُوجد أصعب منها، فهي خسارة لا تجبرها أي مصيبة كما لا يمكن استدراكها أو إصلاحها.

ففي الدنيا: لو أن شخصًا لديه أموال(رجل أعمال) ودخل في مشروع فخسر خسارة كبيرة جدًا، هذا الشخص يمكن أن نراه بعد فترة بسيطة كانت أو كبيرة قد استعاد عافيته واستطاع الوقوف على قدميه مرة أخرى وحاول تعويض ما فقده أو خسره قبل ذلك.

- امرأة خسرت ابن لها يمكن أن يرزقها الله بغيره، طالب علم رسب هذا العام يمكن أن يُرزق التوفيق في العام الذي يليه، وهكذا فخسارة الدنيا يمكن تعويضها بنجاح وفلاح بل ويمكن أن يُحقق الإنسان نجاحًا أفضل من السابق، وحتى لو كانت الخسارة قد طالت دين المرء (ذنوب_معاصي_أو كان في طريق الحق وحدث له نوع من

الانتكاس) فيمكن تعويض هذه الخسارة ما دام في الدنيا فهناك أمل ورجاء في إصلاح ما أفسده أو أن يتدارك الشخص الخسارة التي خسرها في دينه.

أما في الآخرة فإن الخسارة عظيمة فلماذا ؟
لأن الإنسان لا يستطيع تدارك هذه الخسارة أو تعويضها إلى جانب أنها خسارة تستمر أبد الآباد، فالشقاوة ستكون سرمدية أبدية ولن يستطيع أن يخرج من النار(لو كان من أصحاب النار المخلدين فيها) وبالنسبة للمسلمين فإنهم سيخرجون منها ولكن بعد أن يلقوا من العذاب والشقاء ما لا يعلمه إلا الله سبحانه، لقد خسر هذا الشخص نفسه التي كان يسعى بكل ما أوتي من قوة في الدنيا حتى يُحقق لها ما تريد، وقد كان بسعيه هذا عابدًا لنفسه (وهذه إشكالية كبيرة عند الكثيرين من الرجال والنساء) حب النفس والبحث عن تحقيق الذات فيأخذ من الحرام أو الحلال لا يهم، ولكن المهم أن يُصبح له كيان، مكانة، جاه، كل همه وفكره ينصب في كيفية تحقيق ذلك فتُنفق الأوقات وتضيع السنين وتفنى الأعمار والناس في غفلة معرضون والسبب هو إرادة أن يعيش الإنسان في الدنيا على أحسن حال.

والمقصود هو: تحقيق هذه الأشياء على حساب ضياع أوامر الله أو نواهيه، فيعمل شيء في الدنيا من أجل تحقيق مكانة وفي مقابل ذلك يُضيّع أوامر الله أو ما فرضه الله عليه.

مثال: يهتم طالب العلم بعلمه لدرجة أنه يُفرِّط في صلاته، وكذا العمل فإذا كان في عمله وقيل له الصلاة فإنه يقول العمل عبادة.

أما طلب العلم في حد ذاته فلا يستطيع أحد أن ينهى عنه لأن في ذلك تأخر للأمة والتي ينبغي لها أن تأخذ بأسباب التقدم والرقي ولن يكون ذلك إلا بالعلم ولكن في حدود الشرع وفيما لا يغضب الله عز وجل.

حسرة هؤلاء الذين فرطوا في أوامر الله وضيعوها فضاعت أعمارهم سدًى كيف ستكون ؟ الحسرة تكون شديدة جدًا لأن كل سعيه في الدنيا ذهب مع عمره الذي أضاعه من غير أن يعمل فيه من أجل آخرته، لقد باع آخرته من أجل تحقيق أهداف دنيوية ثم ذهبت هذه الأهداف ولم يبق لها وزن، _ هذا النوع اجتمعت عليه بدل الحسرة حسرات (حسرة الفوت_ وحسرة العذاب) يقينًا هذه حسرات.

ومنها:

د- الحسرة عند شهادة الجوارح.

_وهذه أيضًا حسرة شديدة عندما يشهد على العبد أقرب وأحب الأشياء لديه حتى تُدخله النار، فهذا العاصي تشهد عليه أحب وأقرب الأشياء عنده (رجل كان أو امرأة) قال الله سبحانه: { يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24) }[النور]

وقال سبحانه: { وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21)}[فصلت]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟» قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، قَالَ فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ "

أخرجه مسلم(2969).

قال تعالى: { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54)}[الكهف]

طبيعة الإنسان أنه مجادل، ويوم القيامة سوف يجد نفسه في العذاب.

(العاصي_المذنب) فيَحْدُث حوار بينه وبين ربه فيقول: يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ فقال سبحانه : بلى، فيقول : يا رب لا أريد أن يشهد علي أحد غير نفسي(أعضائي)،

فيقول الرب تبارك وتعالى: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا(أي لك ما أردت) وكذا الملائكة الكرام الكاتبين، فيُختم على فيه ثم يأمر أعضائه أن تتكلم فتنطق بكل أعماله (ما سمعه_ما رآه_ما سار إليه_وما طالته يداه)، فكل ما سمعته هذه الأذن من غيبة وتقطيع للحوم المسلمين_ نميمة_ظن وسوء ظن_وحرام وباطل ومنكرات _غناء_الفحش من القول، ستنطق الأذن بكل ما سمعته، وكذلك اليد ستشهد بكل ما عملته (رشوة_كتابة شكوى زور_ضرب مسكين أو ضعيف) وهكذا في كل الجوارح، وبعد أن تنتهي هذه الجوارح من الكلام يُطْلِقْ الله لسانه مرة أخرى فيبدأ كلامه بقوله: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ : أي لقد كنت أدافع عنكن حتى لا تدخلن النار فتأتين لتروين ما كان يحدث.

فأي حسرات هذه؟ حسرة صراع النفس مع الجوارح، فنفسه وجوارحه هما مَن يشهدان عليه وقد كانت أحب الأشياء إليه في الدنيا فعنهن كان يُنافح، فهذه النفس التى

ظل أيام عمره يسعى من أجل إسعادها وراحتها هي نفسها التي شهدت عليه بما فعل من أجل تحقيق هدفه، وهذه الشهادة تكون عليه إن كان من أهل الباطل أما إن كان من أهل الحق فلا، لقد كانت الحسرة في انقلاب كل هذا السعي لشقاء على صاحبه وحسرات لأن جوارحه لا أعدائه هي التي تشهد عليه بكل ما كان يعمل من شرور وأفعال لا تُرضي الله فتنطق هذه الجوارح بهذه الأفعال المُشينة.

يقول بعض أهل العلم : كيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك، وأياديه ومساويك ، فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك
فكيف يكون حياء الإنسان يوم أن يقف بين يدي الله عز وجل وهو يعُد عليه الإنعام والإحسان والعطاء والكرم الذي لا يستطيع أن يحصره أحد أو يُحصيه، ثم يُنكر الإنسان كل هذا وينكر تمامًا أنه فعل كذا وكذا فتأتي الجوارح لتشهد عليه فيضع نفسه في حالة من المهانة والحزن الشديد الذي لا يعلمه إلا الله.

ومنها:

5- الحسرة عند مجيء النار والوقوف عليها

وهي من أصعب الحسرات
قال سبحانه وتعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27)} [الأنعام].

سياق الآيات يأتي في معرض الحديث عن الكفار(ولكن هناك عموم للفظ وخصوص السبب) أي أن: كل إنسان لن يكون من أهل الجنة سيقع في هذه الحسرة وإن كانت الحسرة التي يلقاها الكافر أشد لأنه يعلم أنه مُخلد في النار ولن يخرج منها أبدًا، أما المسلم العاصي والذي خفَّت موازينه يعلم أنه ليس لديه حسنات تُنجيه فإذا رأى النار ووقف عليها وعاين العذاب الذي هو مقبل عليه فإنه يقول ندمًا وحسرة يا ليتني كنت آمنت وصاحبت المتقين وأهل الصلاح وامتثلت لأوامر الشرع ونواهيه ومنعت نفسي عن كل ما يُغضب الله من (تهكم على الدين_ اتهام المتمسكين بأوامر الدين بالتشدد_ عدم التصديق) وهكذا أليست هذه هي أحوال المسلمين ؟
عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا»
أخرجه مسلم(2842)
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الصَّخْرَةَ العَظِيمَةَ لَتُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَتَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا وَمَا تُفْضِي إِلَى قَرَارِهَا» قَالَ: وَكَانَ عُمَرُ، يَقُولُ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ النَّارِ فَإِنَّ حَرَّهَا شَدِيدٌ، وَإِنَّ قَعْرَهَا بَعِيدٌ، وَإِنَّ مَقَامِعَهَا حَدِيدٌ» سنن الترمذي(2575) [حكم الألباني] : صحيح.

المشهد يفوق تصور البشر، ومهما تحدث الناس عن شيء فإنه لا يُساوي إطلاقًا مُعاينة أو رؤية هذا الشيء بعيني الرأس فما الحال إذا كان هذا الشيء هو النار ووجد الإنسان نفسه وهو مقبل على الدخول فيها،
هنا تكون حسرة ما بعدها حسرة فقد انقطعت اللذة وتركته السعادة ومتاع الدنيا الذي باع به أخرته ضاع ولم يبق له إلا العذاب، لقد فقد كل شيء وفي هذه اللحظة يتمنى لو أنه رجع إلى الدنيا مرة أخرى فيعمل أعمالًا صالحة ويلتزم بالشرع فيمتثل للأمر ولا يفعل المحرمات ويقف عند الحدود، ندم وحسرات في وقت لا ينفع فيه الحسرة أو الندم
يَقُولُ بِلَالَ بْنَ سَعْدٍ: " رُبَّ مَسْرُورٍ مَغْبُونٌ ورُبَّ مَغْبُونٍ لَا يَشْعُرُ فَوَيْلٌ لِمَنْ لَهُ الْوَيْلُ، وَلَا يَشْعُرُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَضْحَكُ وَقَدْ حَقَّ عَلَيْهِ فِي قَضَاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَا وَيْلَ لَكِ رُوحًا، وَيَا وَيْلَ لَكَ جَسَدًا فَلْتَبْكِ وَلْتَبْكِ عَلَيْكَ الْبَوَاكِي لِطُولِ الْأَبَدِ " شعب الإيمان للبيهقي.

- رُبَّ مَسْرُورٍ مَغْبُونٌ: أنت أيها الإنسان مغبون وفي خسارة فعندما تقف على النار يوم القيامة سوف تتجرع حسرات وندم يتقطَّع عليه قلبك فلماذا ؟
لأنه يرى أمامه أن السعادة واللهو واللعب والجري والعُري وسماع الأغاني وكل ما قام به من مُحرمات ثم مصيره إلى أين؟
_أهل الدنيا مُنغمسون في الشهوات والمنكرات وتتلاعب الدنيا بهم وهم غافلون ولا يشعرون.
- وَرُبَّ مَغْبُونٍ لَا يَشْعُرُ: المشكلة والمصيبة الأكبر أن الإنسان قد يكون غير مدرك أنه في خسارة فينظر لنفسه ولا يرى أنه مخطئ.
أنت أيها المسكين أين أنت من الأيام التي تمر عليك ولم تذكر فيها الله عز وجل أو تتقرب إليه سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة من (تلاوة قرآن_ذكر_استغفار _صدقات_صلة أرحام_صلاة على النبي ﷺ_تسبيح)، _أين أنت من الأيام التي تمر عليك وأنت تتقلَّب في الذنوب والمعاصي فلم تتب ولم تعد ؟

وليس عدم الإحساس أو الإدراك لما هم فيه من ضلال بل أن هذا النوع أحيانًا عندما يتحدث إليه أحد لينصحه فإنه يُهاجم الناصح ويُجادله ويتهمه أنه مُتشدد وأن العلم قد أفسد عقله، فويلٌ لهذا الشخص المقبل على جهنم وهو لا يشعر، فيأكل ويشرب ويضحك ويلعب وكأنه جاء إلى الدنيا لينال المتعة فقط، لقد انتكست عنده الآية فتصور أن الدنيا هي دار اللعب واللهو والسعادة وأن الآخرة هي دار الشقاء فلم تكتب السعادة في دارين فإما الدنيا وإما الآخرة،
فمن أراد أن يلهو ويلعب ويعِش حياته ذهابًا وإيابًا وكما يحلو له في الدنيا فلا طاعة ولا تأنيب ضمير ولا بحث عن شيء يُصلح به حاله فليفعل كما يشاء ولكن مهما امتدد عُمْره فكم سيعيش(الحياة مهما طالت قصيرة ومهما عظمت فهي حقيرة ولن يطول المقام فيها) وفي مقابل ذلك لن يكون في الآخرة سعادة بل ستكون تعاسة أبد الآباد.

والعكس صحيح، فالمؤمن أو المؤمنة وهو في الدنيا يعيش في سجن، سجن دنيا، فما هو المقصود بسجن المؤمن ؟ هو أن المؤمن مُحاط بأوامر الله فلا يستطيع أن يتعدى حدود الله، فلديه ميزان ومعيار وحدود يتحرك وفق هذا المعيار والحدود، وكذا لا يستطيع أن ينطلق في معاصي الله، هذا هو سجن المؤمن أي حدود الشرع أوامر ونواهي وحدود ما يُرضي الله والابتعاد عن كل ما يُغضبه، حقًا هناك تعب وإجهاد ولكن كم يُساوي هذا إذا ما قورن بالتعب والشقاء والحسرات التي سبق الحديث عنها.

فهذا المغبون الخاسر الذي يضحك ويلعب ويلهو وهو لا يشعر أنه من أهل النار ويلٌ له ثم ويلٌ له لأنه أضاع العمر في أمور لا تُرضي الله فأي خسارة بعد ذلك.

ومنها :

6- حسرة الظالمين لحظة رؤية العذاب

قال الرب تبارك وتعالى: {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (44)}[الشورى]

مشهد شنيع رهيب، فحين ينظر الظالم ويرى العذاب الذي ينتظره يظهر منه الندم العظيم والحزن على ما سلف وما صدر منه في الدنيا ويقول: هل من حِيلة أو سبيل للرجوع إلى الدنيا لأعمل؟ لا سبيل

قال سبحانه: { وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (54)}[يونس]

فالنفس إن لم تكن من أهل الجنة في هذا اليوم فإنها تتمنى لو أنها تملك الأرض كلها بما فيها من قصور وعمارات وأموال وذهب (أي كل ما على الأرض) حتى تفتدي بها من عذاب هذا اليوم، فلو كان لها ذلك لفعلت ولكن أنى لهذا الظالم أن يكون له ما تمناه.

هذا ندم شديد جدًا وحسرة لأنه يعلم أنه حتى لو امتلك الأرض بما فيها وما عليها(وهذا لا يمكن أن يكون لأحد ولكن نفترض ذلك) وأراد أن يفتدي به نفسه من هذا العذاب لم يُقبل منه ولهذا فالحسرة والندم شديدان جدًا فهو لا يملك الدنيا ولو أنه امتلكها وأراد أن يفتدي بها نفسه من العذاب لما تُقبل منه.

13- حسرة أهل النار بعد دخولها.

قال تبارك وتعالى: { وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)}[فاطر].

فما هو النذير؟
قيل في النذير: المقصود هو الشيب أي الشعر الأبيض_ضعف العظم
_لقد كنت أيها الإنسان في الدنيا ظالمًا لنفسك فقد جاءك في الإعذار والإنذار(ضعف العظم_غطى الشيب الرأس_وتقدم به العمر) وبداية النهاية قد اقتربت فعلاما الإصرار على المعاصي؟

وشيء محزن ما نراه اليوم من سعي البعض طلبًا للدنيا بالرغم من تقدم السن فتجاوز(50، 60سنة)، وليس المقصود هو العزوف عن الدنيا والاعتكاف في محراب ولكن المقصود أن الغالب على أحوالهم هو طلب الدنيا حتى أنساهم ذلك العمل للآخرة ، فلا قرآن محفوظ أو حتى مقروء بطريقة صحيحة أو معرفة معانيه، الكثير جدًا من المسلمين رجال ونساء وصلوا لهذا السن وجاءتهم النذر ولكنهم ما زالوا في غفلة وإعراض ولهو ولغو وكل طريق لإهدار الوقت فيمر اليوم على الواحد من هؤلاء خاليًا من أي عمل صالح.

- {فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} : فليس لكم اليوم مَن ينصركم في هذا اليوم الشديد وتلك النار التي دخلتموها وقد وجبت لكم بما قدمت أيديكم من ظلمكم لأنفسكم

14- حسرة اتباع الشيطان عند تخليه عنهم

ففي الدنيا كان المحرك له هو الشيطان فإذا ما أمره بشيء أطاعه (كذب_احتقار للناس_اغتاب_النميمة_رشوة_أكل أموال بالباطل_رياء).

ولكن لماذا تكون الحسرة في موضع كهذا ؟ لأن الشيطان في هذا اليوم يقف يخطب خطبة ليُزيد أهل النار حزن على أحزانهم،

ألم يكفه حزنهم على دخولهم النار؟ أو الحسرات لحظة تطاير الصحف أو عند الميزان أو الأحزان التي تتابعت عليه واحدة تلو الأخرى ومع كل لحظة من لحظات يوم الحساب العظيم؟ لا لم يكفه هذا بل أراد أن يزد حزنهم فهو العدو المضل المبين فعداوته للإنسان عداوة شديدة جدًا، ولو يعلم الإنسان مدى عداوة الشيطان له ما اتبعه ولو للحظة، هذا العدو دائمًا ما ينهى الإنسان عن الخير قولًا وسماعًا وفعلًا فيحجبه عنه حتى لا يأتيه وكذا يبعده عن سماع الحق.

- المقصود : أن الشيطان يقف خطيبًا بين الناس بعد أن تبينت منزلة كل واحد من الناس فأهل الجنة بين درجاتها يتنعمون وأهل النار بين دركاتها يُعذبون وتلك حسرة ما بعدها حسرة لماذا؟ لأنه يُبكِّت فيهم ويؤنبهم.

- فماذا هو قائلٌ لهم؟
الآية: { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22)}[إبراهيم].
أي : لقد كان كلام ربكم وما وعدكم إياه هو الحق فلماذا لم تمتثلوا لأوامره واتبعتموني ولم يكن لي عليكم قدرة أو قوة استطيع بها أن أجبركم على فعل شيء، هذا التأنيب منه للذين اتبعوه وهم في النار ليجتمع عليهم نوعين من الألم، ألم بدني حيث يُعذَّب في النار، وألم معنوي بالتبكيت والتأنيب.

- {مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ}: ولقد قضي الأمر ولن أستطيع أن أُنقذ نفسي أو أن أُنجي أحدكم، وهذا برهان على شدة عداوته لبني آدم فلأخر لحظة والجميع في النار(الشيطان_متبعيه) وما زال يُعاديهم ويزد من حسراتهم بإلقائه لهذه الخطبة
_سلطان الشيطان لن يكون إلا على أهل الضلال، أما أهل الحق والفضل والكرم فليس له عليهم سلطان لأن لديهم من التقوى والإيمان والعلم واليقين ما يجعلهم يعلمون أن ما يُصب في آذانهم من أشياء تنهاهم عن البحث عن الحق وإتيان الخير ما هو إلا وساوس شيطانية وهنا يجب عليهم أن يستعيذوا بالله ويسألوه سبحانه أن يصرف عنهم كيد هذا العدو.

- {إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ}: فوعد الله حق وقوله الصدق وأحكامه عدل
- {وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ}: قال تعالى: { يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (120)}[النساء].

الشيطان لا يترك سبيل يمكن أن يسير فيه ويؤدي به إلى إضلال بني آدم إلا وسلكه.

مثال : شخص لديه نفسٌ لوامة فكيف للشيطان أن يصل إليه ؟
فيحدث حوار بين هذا الشخص ونفسه: أنا أعلم أنني لست على الصراط المستقيم وأعلم أيضًا أنني بهذه الأعمال لن أدخل الجنة وبالفعل أن معترف بذلك ولأن لديه من العلم ما يمكِّنه من معرفة أن ما يفعله قد جانبه الصواب وبالتالي فلن يستطيع الشيطان أن يُلبس عليه الأمر ويُوهمه أن ما يفعله هذا حلال فأين المدخل لهذا الإنسان؟

يدخل عليه من باب التسويف: أصلح نفسك ولكن خطوة خطوة وإن شاء الله سينصلح الحال، فالتدريج مطلوب لأن الالتزام الكامل إذا حدث في خطوة واحدة فسيكون السقوط أيضًا مرة واحدة، وهنا يمكن أن ترضى النفس بهذا التدريج، ولكن هذا التدرج في الالتزام الذي ارتضته النفس كم يستغرق بحسابات الزمن ؟ شهر أم عام أم أعوام وربما تمضي أعوام وهو في مكانه لم يتحرك شبرًا واحدًا، هذا الشخص لم يُدرك أن التدرج والتسويف وخطوة خطوة في الالتزام إنما هو سبيل اتبعه معه الشيطان حتى يظل في مكانه.

ولو أنه كان مؤمنًا إيمانًا صحيحًا لعلم أن الآجال ليست بيد أحد من البشر وأنه يمكن في لحظة أن يلقى ربه فعلى أي أساس يسير خطوة خطوة على طريق الالتزام، ولذلك فإن إيمانه الصحيح يدفعه إلى عدم الاستجابة لهذا النزغ أو الوسوسة الشيطانية
_أما إن كان إيمانه ضعيف والنفس ما زالت أمارة فإنها ستستجيب للوحي الشيطاني ونزغه وبالتالي تُسوف ولا تُذعن ولا تلتزم بأوامر الله.

15- حسرة أصحاب النار بعد مناداة أصحاب الجنة لهم

فبعد أن يدخل أصحاب الجنة الجنة وأصحاب النار النار
قال سبحانه: { وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44)}[الأعراف]
يعلم أهل الجنة أن ما هم فيه حق، ويعلمون أيضًا أن ما فيه أصحاب النار حق فلماذا جاء هذا النداء أو ما هو المقصود منه ؟
هذا النداء جاء للتبكيت والشماتة في أهل النار والذين كانوا في الدنيا في عناد وشقاق ومحاربة للدين بالشهوات تارة وبالشبهات تارة أخرى وكلما حاول أهل العلم والفضل والصلاح إصلاح حال المسلمين وهدايتهم كانوا يُلقون عليهم الشبهات لإسقاط كل الجهد الذي يفعله الدَّعاة، يُحاول العلماء تعليم الناس السنة فإذا بهم ينشرون بينهم البدع، وكلما بذل العلماء والدعاة الجهد من أجل إصلاح المسلمين بما جاء في الكتاب والسنة كانوا يسعون في تدمير ما فعله الدعاة.
فهذا الإنسان العاصي الكاره لدين الله يكون مآله إلى النار ويوم القيامة يُنادي المسلمون من أهل الجنة على الكفار (الذين كانوا يكيدون للمسلمين ويُحاولون تشكيكهم في دينهم بالغزو الفكري وتسليط الشهوات والشبهات، فأعداء الدين من الكفار إلى جانب بعض المسلمين العلمانيين الذين استجابوا لهم فباعوا دينهم بعرض من الدنيا لا هدف لهم إلا إسقاط الدين بإسقاط المسلمين) وهذا من باب الشماتة فيهم والتبكيت لهم لأنهم كانوا في الدنيا يدعونهم إلى التوحيد ومعرفة الحق وإلى التوبة إلا أنهم كانوا معرضين، كانوا

يدعونهم إلى قول الله وقول الرسول ﷺ إلا أن نفوسهم كانت تأبى إلا المعاصي والنفاق وحرب الدين، كانوا(المؤمنون) يدعونهم في الدنيا إلى التوبة والعودة إلى الله من قبل أن يأتي يوم يدخلون فيه نار لا قِبل لهم بسعيرها فكانوا يسخرون منهم ويستهزئون بهم، فينادي أهل الجنة من أصحاب اليمين والمقربين على هؤلاء ويقولون لهم: لقد وجدنا ما وعدنا ربنا وما جاء به الرسل حقًا لأن كلام ربنا حق، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا فقالوا نعم.

- {قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} : وهنا حدث الفصل بين هؤلاء وهؤلاء فلا أهل الجنة يرون أهل النار ولا أهل النار يرون أهل الجنة.

16- حسرة عند مناداة أهل النار خازن جهنم.

قال ربنا عز وجل: { وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77)} [الزخرف].
يُنادي أهل النار على مالك خازن جهنم ويطلبون منه أن يطلب من الله سبحانه أن يُميتهم لأنهم يعيشون في النار لا يموتون ولا يحيون ولكنه عذاب أبد الآباد، فيقول مالك: إنكم ماكثون هذا الرد جاء بعد نداء استمر أربعين عامًا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - قَالَ: " إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَدْعُونَ مَالِكًا: {يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} فَلَا يُجِيبُهُمْ أَرْبَعِينَ عَامًا , ثُمَّ يَقُولُ: {إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ}، ثُمَّ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ فَيَقُولُونَ: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ , رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} قَالَ: فَلَا يُجِيبُهُمْ مِثْلَ الدُّنْيَا، ثُمَّ يَقُولُ: {اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} ثُمَّ يَيْأَسُ الْقَوْمُ , فَمَا هُوَ إِلَّا الزَّفِيرُ وَالشَّهِيقُ , تُشْبِهُ أَصْوَاتُهُم أَصْوَاتَ الْحَمِيرِ , أَوَّلُهَا شَهِيقٌ , وَآخِرُهَا زَفِيرٌ " الجامع الصحيح للسنن والمسانيد.

انتبهوا لأن اليوم عند الله كألف سنة من أيام الدنيا ولذلك فإنه عندما يتركهم أربعين سنة فعلينا أن نعرف أن اليوم الواحد من الأربعين سنة يساوي ألف سنة، فأي نعيم في الدنيا وأي لذة أو متعة وأي جاه أو سلطان وأي شيء مغبون خسران مَن باع آخرته وعرَّض نفسه لهذا العذاب من أجله، فأي خسارة وأي حسرة تلك التي يشعر بها هذا الخاسر، ولذلك جاء التعبير عنها في كتاب الله بالحسرات لأنه لا يوجد في الدنيا شيء يُساوي كل هذا العذاب وحتى لو حِيز له كل نعيم الدنيا فماذا يُساوي إذا ما قورن بهذا العذاب.

لقد نادى هؤلاء على مالك في أول الأمر فتركهم لمدة أربعين عامًا ثم جاءتهم إجابته: (إنكم ماكثون).

ولكنهم لم ينقطع لديهم الأمل في الخروج فينادون على ربهم : ربنا أخرجنا منها ولو عدنا لما فعلناه قبل ذلك فافعل بنا الأفاعيل، فيتركهم الله من غير رد ولكن ما هي مدة عدم الرد؟ المدة هي عمر الدنيا فكم عمر الدنيا ؟ لا يعلم أحد إجابة هذا السؤال وبعد مضي هذه المدة يقول لهم الرب سبحانه {اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ} سب وتبكيت وإهانة نفسية ومعنوية.

فأي عذاب وأي ألم وهم لا يرون فيها إلا الشهيق والزفير وتشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها شهيق وآخرها زفير.

ذاك هو أعظم قول على الإطلاق يسمعه المجرمون وأهل النار {اخسئوا فيها ولا تكلمون} ففيه تبكيت وتوبيخ وذل وإهانة وخسران ويأس وكل ذلك يجتمع على الإنسان في هذه اللحظة.

ولكن هل يمكن أن يجمع الله كل هذه الأشياء على الإنسان بالرغم من علمنا أن الله سبحانه هو الرحمن الرحيم العفو الغفور الكريم المتفضل على عباده بالإحسان، كيف يجتمع هذا وذاك؟

لأن الرب له صفاته والعبد له صفاته، فهو الرب ونحن البشر، وهو الملك ونحن الضعفاء، وهو الواحد الأحد والعبد مخلوق ضعيف لا يملك من أمر نفسه شيء، وبالتالي فمن غير الممكن أن نتعامل معه كما نتعامل مع بعضنا البعض، فالمسافة بين الخالق والمخلوق لا تُحصى ولا تعد ولا تُقاس، كما أن صفاته سبحانه غير صفات البشر مطلقًا ومن كل وجه ولهذا فلا يصح أن نتعامل مع العزيز الحكيم العلي القدير الأعلى الملك الحق بنفس الطريقة التي يتعامل بها البشر مع بعضهم البعض، وفي الدنيا يمكن أن نُخطئ في حق بعضنا مرة ومرات ويتم التسامح والتراضي، والرب أيضًا يعفو ويصفح ويغفر في الدنيا، ولكن إذا قضي الأمر وانتهى عمر الدنيا ووقف المخلوق بين يدي الخالق للحساب فسيكون المصير إما إلى جنة وإما إلى نار، وهنا تتجلى جميع الأسماء والصفات وكما أن من أسمائه سبحانه الرحمن الرحيم العفو الغفور فإن من أسمائه أيضًا عزيز ذو انتقام القاهر فوق عباده_ أسماء الجلال، وأين انتقامه من المجرمين ووعده ووعيده، هذه الأمور لابد أن يُدركها الإنسان وينتبه لها حتى لا يُعرِّض نفسه لهذا التوبيخ والذل والخسران والإهانة والعذاب البدني والمعنوي.

يقول ابن الجوزي: ما طرق أسماع السامعين أفظع من قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون (فلا أصعب من تلك الكلمات).

17- حسرة ذبح الموت بين الجنة والنار.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ " أخرجه البخاري(6548)،أخرجه مسلم(2850).

- فينادي منادي فيُؤتى بالموت في صورة كبش فيُذبح بين الجنة والنار ثم يُنادى على أهل الجنة يا أهل الجنة خلود بلا موت، وعلى أهل النار يا أهل النار خلود بلا موت.

أهل الجنة سيكون خلودهم في نعيم مقيم (أنهار من عسل_لبن_خمر_ماء لم يتغير طعمه) وزروع وثمار وأعظم ما في الجنة هو رؤية وجه الرحمن (نسأل الله أن يمتعنا بذلك)، نعيم دائم لا ينفك عن العباد أبدًا فلا هم ولا غم ولا حزن ولا شقاء ولا تعب ولكن سعادة بعد سعادة، لذات معنوية ولذات جسدية غير مقطوعة ولا ممنوعة، كل هذا ينتظر العبد الذي قدم من العمل ولو قليل، ثواب عظيم وأجر جزيل فأي عاقل يمكن أن يُضيع من نفسه كل هذا الخير، وهنا يزداد أهل الجنة فرحًا.

أما أهل النار فإنهم في عذاب وشقاء ولكن لديهم أمل في الخروج فيُقال لهم إنكم ماكثون فيها فخلود بلا موت (المقصود بالمخلد في النار هو الكافر).

وأخيرًا قيل: ابن آدم لو رأيت ما بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجو من أملك وإنما تلقى ندمك وقد زلت قدمك فأسلمك الحبيب وودعك القريب فلا أنت إلى أهلك عائد ولا في عملك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة.

(الزهد للإمام أحمد)

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك